رسالة المؤرخ . .

الى المعلم . . .

للأستاذ الفاضل الدكتور أحمد فريد رفاعى

أكثر الذين يقبلون على التاريخ ، لا يقبلون عليه إلا وهم راغبون فى التعرف إلى جملة من مجموعة أرقام بما فيها من أرقام التاريخ ، وتعداد القتلى إن تكن هذه الحوادث وإلى الحوادث مما يجرى فى ميدان الحرب ، ولقد أخفت قراءة التاريخ من هذا الجانب تشغل الناس — وخاصة منهم أولئك المثقفين — عن ملابسة التاريخ من وجهة شخصياته الممتازة، ملابسة لا تقوف عليها أحداث القتال فيها إلا بمقدار مايعرفون منه أى المراحل انسمت بخطوات أولئك القادة ، وإلى أى المسالك اتجهت بهم جولاتهم مع الزمن ، ولقد يبدو غريباً بالغ الغرابة فى رأى هؤلاء الذين يقرأون التاريخ على أسلوبه العتيق ، أن ينصرف المؤرخون فى العصر الحديث إلى اختيار شخصيات قليلة ، ولكنها عالمية إنسانية دائمة ، ليحدثوا الجماهير عنها ، كيف كانت ، وأى أثر أثارته ، فى عصرها ، وفيما أعقبه من عصور ، وأى تقدم لقيته الدولة التى ينتسب إليها ، أو أى تأخر أصابته فى عهده ، سواء فى ذلك مايتصل بالأدب والعلم والاجتماع . لقد يبدو ذلك غريباً حقاً ، ولكن الروح التى أشاعها المؤرخون المحدثون على تتاجهم من هذه الناحية ، وعلى رأسهم المؤرخ الالمانى البعيد الذكر « إميل لدويج » قد أظهرت القراء على أنهم يستوعبون شيئاً جديداً حقا ، وأن هذا الشيء الجديد يحقق لهم معرفة الشخصيات القوية ، كما يحقق لهم معرفة الدول التى أنجبتها ، معرفة بعيدة عن ذلك القلق بين ضروب من المهاترات التى كان يلتزمها نفر من مؤرخى الأجيال القديمة ، ذلك أن المؤرخ الحديث يبنى أول مايبنى باستجماع هذه الحلقات المتناثرة التى تصل مابين ألوان موضوعه ، ثم يلمها بعضا إلى جانب بعض ، ثم يتناولها فى بوتقة تفكيره ، فيصهرها صهراً ثم يفرغها بعد ذلك فى قالب يلبسه من رأيه ثوباً تجتمع إليه النفسة بمقدار مايجتمع إليه المنطق

بمقدار مايجتمع إليهما التحقيق الذى لا شائبة فيه ، ومن هنا فقد التاريخ فى أساليبه الحديث ذلك الطابع الخرافى الذى يقوم على جملات من الروايات التى لايدريها الحق الصريح الفصيح.

ولعلى لا أكون متجنياً وجهة السداد حين أرى أن « المعلم » طليعة أولئك الذين يحق لهم أن يتناولوا التاريخ فى سياقه الحديث تناول استقراء واستقصاء وتأمل ، حتى يلم منه بهذه الأطراف التى تدفعه إلى صميمه دفعاً يطلع فيه على صور جديدة من البحث الدقيق الواعى العميق .

إن المعلم حين يقبل على التاريخ بهذه الروح إنما يوزع فوائده بين نفسه توزيعاً يفيده فى حياته الثقافية فائدة مذكورة رائعة ، ذلك أنه يستطيع أن يبلو من هذه الدراسة ، كيف يكون الانصاف الحق ، وكيف يكون التحقيق الصائب وكيف يثير المنطق المعقول فى النفس عاطفة الايمان بما هو جدير بالايمان ، وكيف يتاح له أن يأخذ العبرة من غيره سليمة من تلك النقائص التى تدعمها الروايات الخاطئة أو يلبسها الاقتعال الذى لاغناء فيه ؟ .

ومتى خرج المعلم من دراسته بهذا التراث ، فمن الحقق أنه سيعرف كيف يأخذ تلاميذه على متابعة الحقائق المجردة البعيدة عن الغلو والاغراق ، فيربى فيهم فضيلة الصدق إلى جانب ما يدفع إليهم من الحذر الذى لايدعوهم إلى تصديق كل شىء ، وحتى ولو كان تصديقه حجة ناهضة على المجنون ، ومن المحقق أن المعلم متى خرج من دراسته للتاريخ بهذا التراث ، إنما يعرف كيف يعود تلاميذه — بعد أن يعود نفسه — البحث الشامل لكل جوانب التحقيق المتزن المنطقى وما فيه من دقة تحمله على استغلال النتائج القوية المعقولة ، وإنه ليخرج بهذا إلى الشعب أدمغة تدرك مرمى اتجاهها فى غير عسر ، كما أنه يخرج إلى الشعب أفهاماً تدرك طوليا الحقائق دون أن تعيرها تلك الزخارف القائمة على حواشيها .

وخير للمؤرخ أن يزود المعلم برسالة من هذا الطراز ، حتى يؤديها « المعلم » بدوره إلى أولئك الأبناء الروحيين الذين وكلوا إليه ، فقد جاءت من سعيى فى ظل هذه الرسالة ما أعتقد أنه نفع جزيل ، وخير موفور .

أحمد فريد رفاعى

الديانة والتربية الاجتماعية

كتاب ظريف وضعه نخبة من الاخوان المدرسين بالمدارس الالزامية ، وضمنوه مقرر الدين والتربية الاجتماعية لآخر منهج وضعته الوزارة ، فلهم عن التعليم والاخوان خير الجزاء كما نتمنى لكتابهم الرواج والتشجيع الجديرين بهما .